

تفسير ابن كثير

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمَعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا

وقوله : (قل الله أعلم بما لبثوا) أي : إذا سئلت عن لبثهم وليس عندك [علم] في ذلك

وتوقيف من الله عز وجل فلا تتقدم فيه بشيء ، بل قل في مثل هذا : (الله أعلم بما لبثوا

له غيب السماوات والأرض) أي : لا يعلم ذلك إلا هو أو من أطلعه الله عليه من خلقه ،

وهذا الذي قلناه ، عليه غير واحد من علماء التفسير كمجاهد ، وغير واحد من السلف

والخلف . وقال قتادة في قوله : (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) هذا

قول أهل الكتاب ، وقد رده الله تعالى بقوله : (قل الله أعلم بما لبثوا) قال : وفي قراءة

عبد الله : " وقالوا : ولبثوا " ، يعني أنه قاله الناسوهكذا قال - كما قال قتادة - مطرف بن

عبد الله . وفي هذا الذي زعمه قتادة نظر ، فإن الذي بأيدي أهل الكتاب أنهم لبثوا

ثلاثمائة سنة من غير تسع ، يعنون بالشمسية ، ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال : (

وازدادوا تسعا) وظاهر من الآية إنما هو إخبار من الله ، لا حكاية عنهم . وهذا اختيار

ابن جرير ، رحمه الله . ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ، ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يحتج بها ، والله أعلم . وقوله : (أبصر به وأسمع) أي : إنه لبصير بهم سميع لهم . قال ابن جرير : وذلك في معنى المبالغة في المدح ، كأنه قيل : ما أبصره وأسمعه ، وتأويل الكلام : ما أبصر الله لكل موجود ، وأسمعه لكل مسموع ، لا يخفى عليه من ذلك شيء . ثم روي عن قتادة في قوله : (أبصر به وأسمع) فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع . وقال ابن زيد : (أبصر به وأسمع) يرى أعمالهم ، ويسمع ذلك منهم ، سميعا بصيرا . وقوله : (ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا) أي : أنه تعالى هو الذي له الخلق والأمر ، الذي لا معقب لحكمه ، وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير ، تعالى وتقدس .